مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 12 عدد: 1، مارس 2023
ص: 416 - 428 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

الهمز بين الدرس الصوتي القديم والحديث -دراسة مصطلحية-

The Hamz Between the old and modern voice lesson -study Terminological-

مختار بزاوية *
Mokhtar Bezzaouya
مختبر الدلالة في المستويات اللسانية في التراث الأدبي الجزائري.
جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر)،
University Mustapha stambouli mascara (algeria)
mokhtar.bezzaouya@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2022/08/03	تاريخ القبول: 2022/11/22	تاريخ النشر: 2023/03/02

مُلخّص البحث

يتناول هذا البحث ظاهرة صوتية ذات أهمية كبيرة، وهي ظاهرة "الهمز"، فهو من الأصوات العربية التي نشأ حولها اختلاف كبير بين العلماء قديما وحديثا، فقد اختلفوا في تحديد ماهية الهمزة وصفتها، وتباينت اوجه استعمالها. والمتصفح لكتب النحو واللغة والقراءات عند القدامى يجد أنّهم قد أولوا هذه الظاهرة إهتمّاما كبيرا، فعقدوا لها فصولاً مطّولةً، ومباحث متعددة. وأما المحدثون فقد كانوا أكثر وأدق عناية بظاهرة الهمز وغيرها من القضايا الصوتية، لاستعانتهم بالدرس اللغوي واللساني الحديث، وما جدَّ في عالم الصوتيات من تقنيات حديثة تم تطبيقها عن طريق التحليل الدقيق للأصوات والحروف، فخالفوا القدامى في قضايا تتعلق بالهمز، وكان لهم إضافات جليلة لا يُستهان بها. ودراستي هنا تكتسي طابعا خاصا وجديدا، لكونها تُعنى بهذ الظاهرة من خلال تتبع تطور مفهوم ودلالة مصطلح "الهمز"، في أشعار العرب و النحاة واللغويين، ثم انتهاء بالمحدثين وإسهاماتهم في تطوير علم الأصوات عامة واعتنائهم بالهمز خاصة.

الكلمات المفتاح : الهمز؛ الدرس الصوتي؛ المصطلحية؛ القدامى؛ المحدثون.

Abstract :

This research deals with a phoneme phenomenon of great importance, which is the "hamz" phenomenon, as it is one of the Arab voices around which a great difference arose between ancient and modern scholars. And browsers of ancient grammar, language, and readings for the ancient people find that they have given this phenomenon great attention. As for the modernizers, they were more and more careful with the phenomenon of hamz and other audio issues, for their use of the modern linguistic and linguistic lesson, and what was found in the world of acoustics from modern techniques that were applied through careful analysis of sounds and letters. As for my study, it is of a new and special nature, as it deals with this phenomenon by tracing the development of the concept and significance of

* مختار بزاوية mokhtar.bezzaouya@univ-mascara.dz

the term "hams" and phonemic thinking among Arabs in the poems of Arabs and then at grammarians, linguists, ending with the modernizers.

Keywords: the Hamz; the Voice Lesson; the Terminological; The Ancients; the Modernizers.

المقدمة:

لقد لاحظ علماؤنا القدامى الظواهر الصوتية منذ نشأة العلوم اللغوية، ووصفوها بكل دقة اعتمادا على ما أتاحته لهم فطرتهم وذوقهم وقواعدهم التي ابتكروها، وظلت النتائج التي توصلوا إليها مرجعية للدرس اللغوي والصوتي لفترة زمنية طويلة، إلى أن مدّ التطور التكنولوجي باعه في العصر الحديث، واستخدم في ذلك بعض الطرق العلمية والمناهج الحديثة ليضبط بدقة الأصوات وصفاتها، مما أدّى إلى وقوع الاختلاف بين القدامى والمحدثين في بعضل الجوانب المتعلقة بتحديد ماهية بعض الأصوات.

وكانت ظاهرة الهمز إحدى هذه القضايا التي تعمّق فيها الخلاف بين القدامى أنفسهم، وبين القدامى والمحدثين، فقد اختلفوا فيه اختلافا كبيرا، وصل بهم إلى حدّ تخطئة بعضهم بعضا، فقد اختلفوا في مخرجه، وصفته، وفي نوعه؛ أهو حرف صحيح أم حرف علة، أم هو شبيه بحرف العلة حيث المخرج والصفة؟ وهذا الموضوع قديم قِدمَ البحث العلمي عند اللغويين والنحاة، وقِدم القراءة والأداء عند القراء، والتّآليف والدّراسات في هذا المجال لا تُعدّ ولا تُحصى -دون مبالغة منّي- والإتيان على ذكرها يظلّ إتيانا على سبيل الذّكر لا الحصر، وهي مؤلفات ذات أهمية بالغة ومادة علمية كثيفة، تناولت ظاهرة الهمز بشيء من التفصيل والبحث العميق، الذي لربما قد يُرهق الباحث ويجعله تائها وسط هذا الكم الهائل من الأبواب والفصول والمباحث، وقد تناولوها في جوانب شتى.

وقد حاولت ههنا أن أتتبّع ظاهرة الهمز باعتبارها مبحثا صوتيا، مع رصد تطور استخدام الهمز مصطلحيا في الدراسات التراثية، مع الاستفادة من جهود المعاصرين في ذلك، وهذا سعيا مني للمّ شتات ما تفرّق من بحوث وآراء حول الهمز في عمل واحد، وتقديم صورة واضحة لما دار حوله من خلاف مع الإيجاز، معتمدا في ذلك المنهج الاستقرائي القائم على الوصف والتحليل للظاهرة. ولا شكّ أن البحث العلمي حلقات متواصلة يكمّل بعضها بعضا، والله من وراء القصد وهو المعين.

أولا- التعريف بالدراسة المصطلحية:

وضع أسس هذا المنهج الباحث والأستاذ المغربي الشاهد البوشيخي من خلال مجموعة من الأعمال الأصيلة، وسمّاه بـ(منهج الدراسة المصطلحية)، وقد عرفه بقوله: «الدراسة المصطلحية ضرب من الدرس العلمي لمصطلحات مختلف العلوم وفق منهج خاص بهدف تبين وبيان المفاهيم التي عبرت أو تعبر عنها الك المصطلحات في كل علم في الواقع والتاريخ معا »[1]. ويمكن تعريفه أيضا بـ بأنّه: «منهج علمي رصين يقوم على

البحث في التطوّر التاريخي والواقع الدلالي للمصطلح داخل النصّ المنتمي لمجالٍ علمي محدّد، من خلال وصف المصطلح وتحليل مقوماته الذاتية وامتداداته الخارجية؛ للخروج بنتائج دقيقة وموضوعية وثابتة عنه»[2].

وتكمن أهمية هذا المنهج في كونه يرصد المصطلحات التي تعبّر عن المسيرة التطورية لعلمٍ ما، ويلخّص حلول الإشكالات العلمية المطروحة في مختلف التخصصات، يقول الأستاذ البوشيخي: «لا سبيل إلى استيعاب أيّ علم دون فهم المصطلحات، وسبيل إلى تحليل ظواهر أيّ علم دون فقه المصطلحات، ولا سبيل إلى تجديد أيّ علم دون تجديد المصطلحات أو مفاهيم المصطلحات»[3].

ومنهج الدراسة المصطلحية هو الطريقة المفصلة المطبقة على كل مصطلح من المصطلحات المدروسة، في إطار منهج من مناهج الدراسة المصطلحية (المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي، والمنهج التاريخي الوصفي)، وأهم خطواته باختصار[4]: الإحصاء: والدراسة المعجمية، والدراسة النصية، والدراسة المفهومية، والعرض المصطلحي.

ثانيا- التأصيل اللغوي لكلمة "الهمز":

1- المعنى اللغوي:

إذا تتبعنا كلمة "همز" في المعاجم العربية، قديمها وحديثها، وجدنا معانيها اللغوية تنحصر في المعاني التالية: الغمز، والضغط، والعصر، والشدة، والدفع، والضرب، والنخس، والغض، والكسر، واللمز[5]. ومن معاني اشتقاقات الهمز نذكر: المِهْمَزُ والمِهْمازُ: حديدة تكون في مؤخر خُف الرائض. قال الشماخ:

أقامَ الثِقافُ والطريدةُ دَرْأَها ما قُوِّمَتْ ضِغْنَ السَموسِ المَهامِزُ

قوسٌ هَمُوزٌ وهَمْزَى: على فَعَلى: شديدة الدفع والحَفْزِ للسهم؛ وأَنشد لأَبي النجم وذكر صائداً:

نَحا شمالاً هَمَزَى نَصُوحا وهَتَفَى مُعْطِيَةً طَرُوحا

والهَامِزُ والهُمَّازُ: العَيَّابُ. والهَمَّازُ والهُمَزَة: الذي يَهْمِزُ أَخاه في قفاه من خَلْفِه، وفي التنزيل العزيز: ﴿**هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بنَمِيمٍ**﴾[القلم/11]؛ وفيه أيضاً: ﴿**وَيلٌ لكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**﴾[الهمزة/01][6].

2- الهمز في الشعر العربي القديم[7]:

كشف البحث في الموسوعة الشعرية عن عشرات الأبيات الشعرية التي ورد فيها لفظ "الهمز" وقد اخترت هذه النماذج الآتية من عيون الشعر العربي والعصور الأولى له:

قال الأعشى:

وَقَد شَمَّرَت بِالناسِ شَمطاءُ لاقِحٌ عَوانٌ شَديدٌ هَمزُها فَأَضَلَّتِ[8]

والهمز هنا بمعنى العصر.

وقال الحطيئة:

رَهطُ اِبنِ جَحشٍ في الخُطوبِ أَذِلَّة دُسمُ الثِيابِ قَناتُهُم لَم تُضرَسِ
بِالهَمزِ مِن طولِ الثِقافِ وَجارُهُم يُعطي الظُلامَةَ في الخُطوبِ الحُوَّسِ[9]

والهمز هنا بمعنى الغمز

وقال العرجي: فَارْعَوَت بَعدَ نَفرَةٍ نَفَرَتها بِسُكُونٍ وَهَمزَةٍ وَابتِسامِ[10]

والهمزة هنا بمعنى الغمزة.

وقال أبو نواس: يُعطيكَ أَقصى حُضرِهِ المَوفورا شَدّاً تَرى مِن هَمزِهِ الأُظفورا[11]

والهمز هنا بمعنى العض بالأنياب لأنه يصف كلبا.

والشواهد الشعرية كثيرة ولا يسع المقام لذكرها كلها.

3- ماهية الهمز:

الهمزة أحد حروف اللغة العربية، يعبر عنها بالألف المهموزة؛ لأنها لا تقوم بنفسها ولا صورة لها؛ فلذا تكتب مع الضمة واوا، ومع الكسرة ياء، ومع الفتحة ألفا[12]. وهي حرف صحيح لأنّه يقبل الحركات الثلاث، وحرفٌ مشبَّه بحروف العلّة لأنّ الإعلال والإقلاب يكونان فيها[13]. وسميّت الهمزة في الحروف لأنها تُهمَز فتُهمَزُ من مخرجها، قال السيوطي(ت911هـ): «وسُميّ الهمزُ المهتوتَ من الهتّ، وهو عصر الصّوت، لأنها معتصرة كالتهوّع، أو من الهتّ وهو الحَطْم والكسْر، لأنّها يعرض لها الإبدال كثيرا فتنحطم وتنكسر»[14].

4-ألقاب الهمزة من حيث اللغة:

الهمزة كالحرف الصحيح، ولها ألقاب كألقاب الحروف، ومنها[15]: همزة التأنيث، كهمزة العُشَراء، والتقساء، والخُنشاء. والهمزة الأصليّة في آخر الكلمة، مثل: الحفاء، والبواء، والوطاء، والطواء ؛ والوصاء. وهمزة المدّة المُبدلة من الياء والواو، كهمزة: السماء، والبكاء، والكساء، والدعاء، والجزاء، وما أشبهها. والهمزة المُجلبة بعد الألف الساكنة، نحو: وائل، وطائف. وفي الجمع، نحو: كتائب، وسرائر. والهمزة الزائدة، نحو: الشمأل، والشأمل. والهمزة التي تُزاد لئلا يجتمع ساكنان، نحو: اطمأنّ، واشمأز، وازبأر، وما شاكلها. وهمزة الوقفة في آخر الفِعل، لغة لبعض دون بعض، نحو قولهم للمرأة : «قولىء»، وللرجلين: قولأ، وللجميع: قولؤ، وإذا وصلوا الكلام لم يَهمزوه، ولا يهمزون إلا إذا وقفوا عليها. وهمزة التوهّم، كما رَوى الفراء عن بعض العرب أنهم يهمزون ما لا همز فيه إذا ضارع المَهموز. قال: وسمعت امرأة من غَنِيّ تقول: رثأت زَوجي بأبيات، كأنها لمّا سَمعت: « رثأت اللبن » ذهبت إلى أنّ مرثية الميت منها. قال: ويقولون: لبّأت بالحج، وحلأت السويق، فيغلطون، لأنّ « حلأت » يقال في دَفع العَطشان عن الماء، و«لبأت » يذهب بها إلى اللّبأ. وقالوا: استنشأت الريح، والصواب: استنشيت، ذهبوا به إلى قولهم: نشأ السحاب. والهمزة الأصلية الظاهرة في اللفظ، نحو همزة: الخبء، والدفء، والكفء، والعبء، وما أشبهها.

5-ألقاب الهمزة من حيث الصوت[16]:

استُعمِل للتعبير عن الهمزة عدَّة ألفاظٍ، منها: النَّبْرَةُ أو النَّبْر (وهو الهمزة المحقّقة، والهمزة المسهَّلة المختلسة الحركة، والصُّوَيت الذي يَلْحَقُ الأصوات المقلقلة، والنَّغمات الصوتية المصاحبة للكلام)، الألف، الياء. ولقّبت الهمزة بعدّة ألقاب صوتية، منها: المضغوطة، والمهتوت، والمهتوف، والحرف الجرسيّ، والحرف الصوتيّ.

6-الفرق بين الهمزة والألف:

أنكر بعض علماء العربية حرفية الهمزة ولم يعتدوا بها، معللين بأنه لا صورة لها، واعتبروا أنّ حروف العربية ثمانية وعشرون حرفا فقط، وهذا مذهب الفراء(ت207هـ)، وثعلب(ت291هـ)، والأزهري (ت370هـ). أما جمهور اللغويين والنحويين فقد تابعوا الخليل(ت170هـ) وسيبويه(ت180هـ). وعدوها حرفا قائما بذاته، وعلى هذا فعدد حروف الهجاء عندهم تسعة وعشرون[17]. وقد فرّق بينهما سيبويه -وتبعه في ذلك ابن جني- على أساس الحركة فقال: « الهمزة حرف كالعين، والألف حرف آخر لا يكون إلا ساكنا، ولا يكون في أوّل الكلمة، ولذلك وضع واضع حروف المعجم الهمزة أوّل الحروف، والألف مع اللام قبل الياء»[18].

والحقيقة أنّ الهمزة ألف، أمّا تسميتها همزة فجاءت من وصف كيفيّةٍ نطقيّةٍ لبعض وجوهها، وهي التحقيق[19]، وتبعا للغة المنطوقة لا المكتوبة أنّ الهمزة تَرِدُ على التحقيق والتخفيف، فهي ليست صوتا واحدا، وإنما صوتان أصلان: صامت وصائت، نطق بهما العرب، قبل أن يجيء الخط ويمثلها الرسم. وحين جاء الخطّ مثلها الرّسم جميعا بصورة واحدة، في أول الأمر هي "الألف" ثم فُرِّق بينهما في الرّسم[20].

ثالثا- الدراسة الصوتية لظاهرة "الهمز":

1- مخرج الهمزة:

يطلق المَخْرج أو "المُخْرج" كما سماه سيبويه بضم الميم وسكون الخاء، على مكان النطق الذي يحدث فيه التصويت[21]، وأطلق عليه ابن دريد(ت321هـ) "المجرى"[22]، وسماه ابن سينا (ت438هـ) "المحبس"[23]. والمخرج كما قال ابن يعيش(ت643هـ): «المقطع الذي ينتهي الصوت عنده»[24]، ويدعى أحياناً بنقطة النطق أو الموضع الذي يكون فيه انحباس الهواء وحجزه من المرور كلياً أو جزئياً بأحد الحواجز الموجودة في الحلق كاللهاة، أو اللسان أو الشفتين[25].

وقد اختلف الأقدمون والمحدثون في مخرج الهمزة مما أدى بهم أيضا إلى الاختلاف في صفاتها، فأما الخليل بن أحمد فقد اضطربت العبارة عنده، فمرة يذكر أنّ مخرجها من أقصى الحلق: «وأما الهمزة مخرجها من أقصى الحلق ممتوتة مضغوطة فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف»[26]، ومرة أخرى يرى أنها في الهواء وليس لها حيز تُنسب إليه وأنها تخرج من الجوف، قال ابن يعيش: «روى الليث عن الخليل أن الألف والواو والياء والهمزة جوف؛ لأنها تخرج من الجوف ولا تقع في مدرجة من مدارج الحلق ولا اللهاة ولا اللسان إنما هي هواء »[27]. وسبب هذا الاضطراب كما يرى كمال بشر هو "أنّ الخليل ومن تابعه حين نطقوا بالهمزة لمعرفة طبيعتها لم ينطقوها وحدها، وإنما نطقوها متلوة بحركة، فبدت كما لو كان هواؤها حرا طليقا، في حين أن حرية الهواء إنما تُنسب إلى الحركة المصاحبة للهمزة لا إلى الهمزة ذاتها[28].

وأما جمهور اللغويين والنحويين فيرون أن تخرج من أقصى الحلق، وفي ذلك يقول شيخ النحاة سيبويه: «لِحروف العربية ستةَ عشر مخرجا، فلِلْحلق منها ثلاثة، فأقصاها مخرجا: الهمزةُ والهاء والألف..»[29]. وقال الزمخشري(ت538هـ): «إنّها نبرة تخرج من أقصى الحلق، وتفتقر في تحقيقها إلى شيء من الجهد، ولهذا ثقل عليهم نطقه»[30]. وقال ابن الحاجب صاحب كتاب الشافية(ت646هـ): «ثمّ اعلم أنّ الهمزة لمّا كانت أدخل الحروف في الحلق ولها نبرة كريهة تجري مجرى التّهوُّع، ثَقُلت بذلك على لسان المتلفِّظ بها، فخفَّفها قوم، وهم أكثر أهل الحجاز»[31].

فأساس الشدّة عندهم والاستثقال هو خروج الهمزة من أقصى الحلق وبذل الجهد عند نطقها، حتى لكأنّ صاحبه يكاد يصاب بالتهوّع أي التقيّأ، لذا عمدوا إلى تخفيفه، قال ابن بري(ت582هـ):

والهَمــــز في النطْــــق بِــــه تَكلُــــف فتنقلُــــــوهُ تَــــــارةً وَحــــــذفُوا
وأَبْــــدلُوهُ حــــــرف مَــــدٍّ محــــضــــا ونقلُــــــوهُ للسُــــــكونَ رفْضــــــا[32]

وأما المحدثون فيرون أنّها تخرج من نفس المزمار، لأنّ فتحة المزمار تنطبق انطباقا تاما عند النطق بها فلا يتسرّب شيء من الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة، فيسمع صوت انفجاري هو ما يعبّر عنه بالهمزة[33].

الشكل رقم 1 يمثل الجهاز النطقي[34]

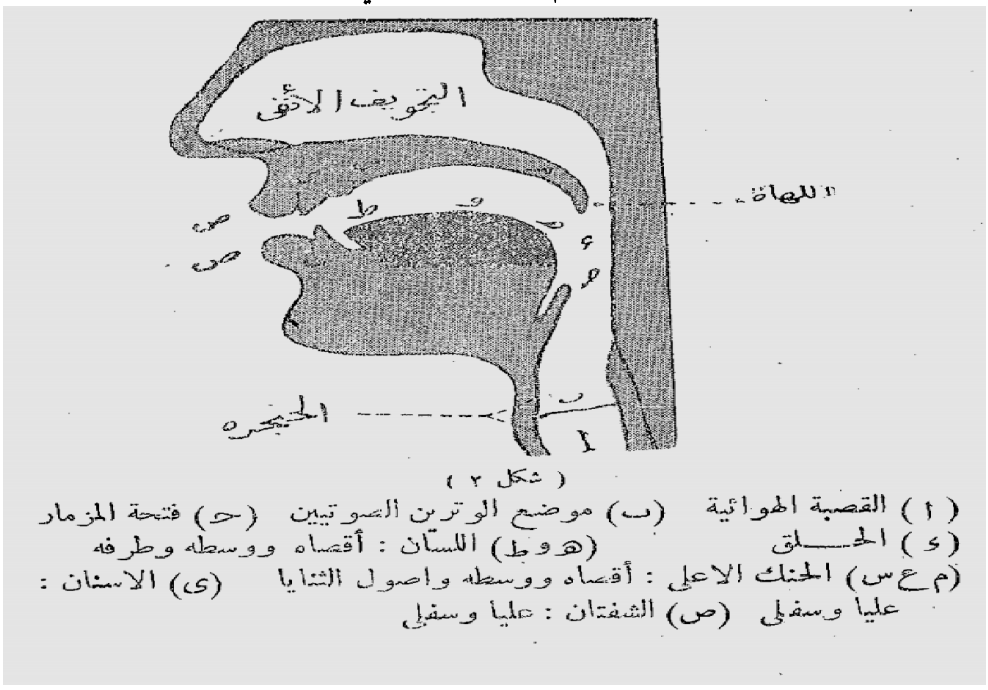

(شكل ٢)

(ا) القصبة الهوائية (ب) موضع الوترين الصوتيين (حـ) فتحة المزمار
(ء) الحلق (هـ و ط) اللسان : أقصاه ووسطه وطرفه
(م ع س) الحنك الاعلى : أقصاه ووسطه واصول الثنايا (ى) الاسنان : عليا وسفلى (ص) الشفتان : عليا وسفلى

فصوت الهمزة عند علمائنا القدامى يخرج من أقصى الحلق أي أبعده من الفم إلى الداخل مما يلي الصدر والمشار إليه في الشكل بحرف "د"، بينما يرى المحدثون أنه يخرج من المزمار نفسه والمشار إليه في الشكل بحرف "ج"، ومما لا شمك فيه أن مذهب الحدثين أدق وأصح لكونه قد اعتمد التحليل المخبري أساسا له في إصدار مثل هذه الأحكام الخاصة بالجهاز النطقي والله أعلم.

2- صفات الهمزة:

أ-عند القدامى:

يكاد يتفق اللغويون والنحاة القدامى على أنّ الهمزة حرف شديدٌ مجهورٌ، يخرج من أقصى الحلق مما يلي الصدر[35]. وقد بنوا الجهر على أساس تعريفهم له، وهو ما يمنع النفس من الجريان معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت، يقول سيبويه(ت180هـ): «فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه، ويجري الصوت فهذه حال المجهورة في الحلق والفم»[36]. ومعنى إشباعه في موضعه هو ثبوت أعضاء الجهاز الصوتي بوضعها الخاص بإصدار الصوت في المنطقة الخاصة بنطقه، وفي حالة الهمزة هو استناد الوترين الصوتيين الغشائين في الحنجرة بعضها على بعض، وانطباقها ومنع النفس من الجريان خلالها، فلا يسمح للهواء بالمرور فيحتبس داخل الحنجرة حتى ينقي الاعتماد، ويجري الصوت عندما يسمح له بالخروج على صورة انفجار هو صوت الهمزة الذي نسمعه نتيجة تباعد الوترين الصوتيين بعضهما عن بعض[37].

ب- عند المحدثين:

الهمزة -عند المحدثين- صوت ينتج من انطباق الوترين الصّوتيين والغُضروفين الهرميّين -في الحنجرة- انطباقاً كاملاً وشديداً، بحيث لا يسمح للهواء بالمرور مطلقا، فيُحتبس داخل الحنجرة، ثم يُسمح له بالخروج على صورة انفجار[38]. وعلى هذا فهم يخالفون مذهب القدماء في كونها حرفا مجهورا، ودليلهم في ذلك ما أكّدته التجارب المخبرية، لأنّ الأوتار الصوتية معه تكون مغلقة إغلاقا تامّا لا يسمح بوجود الجهر في النّطق، لأنّ الجهر هو اهتزاز الأوتار الصوتية عند النطق بالحرف[39]. ولكنهم انقسموا إلى فريقين:

فالفريق الأول –وهم جماعة من الغربيين من أمثال هفنر (Hefner) وبروسناهان ومالمبيرغ - فيرون أنّها حرف مهموس انفجاري، وتبعهم في ذلك مجموعة من الدارسين واللغويين العرب من أمثال د.تمام حسان، ود. عبد الرحمن أيوب[40]. وأما الفريق الثاني فيرون أنها صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس، ويقود هذا الاتجاه من الغربيين اللغوي دانيال جونز[41]، وتابعه على ذلك د.إبراهيم أنيس، ود.كمال بشر[42].

ومحل الخلاف بين الفريقين هو الأساس الذي بنى عليه كلٌّ رأيَه، فالقائلون بالهمس اعتمدوا على ما ذهب إليه هفنر من أن للحنجرة وظيفتين ذبذبة الأوتار الصوتية وهي صفة الجهر وعدم ذبذبتها وهي صفة الهمس ويدخل في حالة عدم الذبذبة حالة الاحتباس في الحنجرة وذلك في الهمزة[43]، وفي ذلك يقول د.عبد الرحمن أيوب: «يجب أن يلاحظ أنه عندما يكون الاحتباس في منطقة الحنجرة، وهنا يكون السكن الناتج من هذا الانحباس همزة لا يمكن أن تظل الأوتار الصوتية على ذبذبتها، ضرورة أنّ الانحباس في هذه الحالة يتم

بانطباق الأوتار الصوتية انطباقا تاما، وهو أمر يناقض التذبذب، ومن أجل هذا نقول بأن الهمزة مهموسة لأن الهمس يعني عدم التذبذب»[44].

وأما القائلون بأنها صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس، فقد بنوا مذهبهم على ما ذكره دانيال جونز من أن للحنجرة ثلاث وظائف: الاحتباس وذلك في الهمزة وحدها، والانفتاح دون ذبذبة وذلك في المهموسات، والانفتاح مع الذبذبة وذلك في المجهورات[45]. وفي هذا يقول د.كمال بشر: «والقول بأنّ الهمزة صوت لا بالمهموس ولا بالمجهور هو الرأي الراجح، إذ إنّ وضع الأوتار الصوتية حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر أو ما يسمى بالهمس، وهناك من الدارسين المحدثين من يرى أنّ الهمزة صوت مهموس، ويبدو أنهم يقصدون بالهمس حينئذ عدم الجهر، وهو رأي غير دقيق، إذ هناك حالة ثالثة هي حالة وضع الأوتار الصوتية عند نطق الهمزة العربية»[46]. ومع هذا فقد تبع بعض المحدثين القدماء في وصفها بالجهر كالدكتور صبحي الصالح[47].

وإذا أردنا الترجيح في هذه المسألة فنقول: إنّ معايير الدراسة كانت مختلفة بين القدماء والمحدثين وبين المحدثين أنفسهم، وذلك نتيجة اختلافهم في تعريف الجهر والهمس، ونظرتهم إليها، فالقدامى لم يقيموا نظرتهم للجهر والهمس على اهتزاز الوترين أو عدم اهتزازهما، لأنّ هذين لم يُعرفا إلا بعد تشريح أعضاء النطق في العصر الحديث مما أدى بهم إلى هذا التباين والاختلاف[48]، أضف إلى ذلك أنّ العلم الحديث بوسائله الصوتية المتطورة قد رصد صوت الهمزة بصور متعددة، وأظهرها صوتا غير مستقر لا يأخذ شكلا معيّنا محددا، وصوتا شبيها بالعلة في بعض السياقات، مع ما يعتري الهمزة في النطق العربي من إبدال وحذف وتسهيل وغيرها[49].

وقد مال د.عبد الغفار هلال إلى ترجيح رأي دانيال جونز ومن تبعه في عدّ الهمزة صوتا لا بالمجهور ولا بالمهموس، إذ يقول: «ويبدو أنّ هذا الرأي سديد، لأنّ أحوال الهواء مختلفة، فهو إذا انطلق إما أن يؤثر في الأوتار الصوتية فيحدث الجهر، أولا يؤثر فيها فيحدث الهمس، واحتباس الهواء في الحنجرة شيء جديد وحال أخرى مغايرة لسابقتيها، فالأوْلى ملاحظتها في صوت الهمزة، وبخاصة أننا في مجا البحث العلمي الدقيق»[50].

ولعله الرأي الأصوب والله أعلم.

الخاتمة:

خلص هذا البحث إلى النتائج التالية:

- أنّ علماءنا قديما وحديثا تبينوا أهمية دراسة الهمز وصفاته وأحواله، فعنوا به أيما عناية، وكثر فيه خلافهم وتعددت أقاويلهم، فقد شغل حيزا كبيرا من تفكيرهم، على اختلاف مناهجهم من نحاة ولغويين وصرفيين وقراء.

- أنّ علماءنا القدامى بلغوا شأوا عظيما في دراسة أصوات العربية وتحديد مخارجها وصفاتها، وهذا ما شهد به المحدثون واستفادوا منه في دراساتهم الصوتية الحديثة، وما تعقبه المحدثون عليهم ليس تجنيا أو انتقاصا من قدرهم، فقد توفر للمحدثين من الوسائل ما لم يتوفر لأسلافنا.
- أنّ ظاهرة الهمز من أشقّ العمليات الصوتية، لا يقدر عليها النّاطق إلا برياضة شديدة، كما أقرها القدامى والمحدثون، وقد اختلفوا في وصف الهمزة من حيث الجهر والهمس، ولكل فريق وسائله وطرائقه التي بنى عليها حكمه، ولا شك أن رأي المحدثين أقرب إلى الدقة والصواب كونه يستند على ما أنجزته التجارب المخبرية لتحديد صفة الهمزة، وهي الهمس وإن اختلفت تعبيراتهم في وصفه.
- الدراسة المصطلحية التي اهتدى إليها الأستاذ الشاهد البوشيخي من أرقى الدراسات التي يتوجب على الباحثين اعتمادها في الدراسات الأكاديمية فهي كفيلة بكشف الحقائق وتحليل الظواهر وتحليلها بعمق، وقد كان اعتمادي عليها في هذا البحث مقاربا لها فقط.

هوامش:

[1] الشاهد البوشيخي: نظرات في المصطلح والمنهج، (2004)، مطبعة أنفو (فاس-المغرب)، ط3، ص09.

[2] خالد صدوقي: منهج الدراسة المصطلحية وأهميته في تجلية مفاهيم القرآن، الرابط:
https://tafsir.net/article/5215/mnhj-ad-drast-al-mstlhyt-w-ahmyt-h-fy-tjlyt-mfahym-al-qr-aan
تاريخ الاطلاع عليه: 2022/05/07.

[3] الشاهد البوشيخي: نظرات في المصطلح والمنهج، ص15.

[4] ينظر: الطيب رحماني: الدراسة المصطلحية لدى الشاهد البوشيخي: المفهوم والمنهج، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، المجلد04، العدد02، ديسمبر 2013، ص192-194.

[5] ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي،(2003)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1. وأحمد ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (1979)، دار الفكر (بيروت). وأبو بكر ابن دريد: جمهرة اللغة، تعليق إبراهيم شمس الدين، (2005)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1. ومحمد الرازي: مختار الصحاح، تحقيق يحي خالد توفيق، (1998)، مكتبة الآداب (القاهرة)، ط1. ومجد الدين الفيروز أبادي: القاموس المحيط، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرغيلي، (1997)، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط1. وجمال الدين ابن منظور: لسان العرب، (2000)، دار صادر (بيروت). ومرتضى الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري (1994)، دار الفكر (بيروت). الجميع مادة "همز"

[6] جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، مادة "همز".

[7] الموسوعة الشعرية: الرابط: https://poetry.dctabudhabi.ae/#/
تاريخ الاطلاع عليه: 2022/05/10.

[8] شمرت: جدّت- شمطاء: أي حرب شمطاء، والشمطاء أصلا مؤنث الأشمط الذي يخالط سواد شعره بياض- اللاحِق: صفة الحر الشديدة- العوان: الحرب الضروس والطويلة- الهمز: الصرع والعصر، لأنها تصرع الكثير من الفرسان- أضلت: أهلكت الضحايا وكانت سببا لتغييبهم وتدفنهم. ينظر: ديوان الأعشى: شرحه وضبط نصوصه فاروق الطباع، (2004)، دار القلم (بيروت)، 2004، ص45.

[9] الخطوب: الأمور المدلهمة. دسم الثياب: قذرة ومدنسة ثيابهم. لم تضرس: أي لم تقوّم ولم يعضّها الثقاف. الهمز: الغمز. يعطي الظلامة: أي هو ذليل لا يمتنع من ظلم. الحوس: الأمور الشداد. وهو يهجو أباه وأمه وبني بجاد بن عبس. ينظر: ديوان الحطيئة: براوية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب مفيد محمد قميحة، (1993)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، ص121.

[10] الهمزة والغمزة بمعنى واحد، وهي الإشارة بطرف العين. ينظر: ديوان العرجي: برواية ابن جني، شرحه وحققه خضر الطائي، ورشيد العبيدي، (1956)، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر (بغداد)، ط1، ص121.

[11] ديوان أبي نواس: تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، (1953)، دار الكتاب العربي (بيروت)، ص633.

[12] مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مادة "همز".

[13] أدما طربية: معجم الهمزة، (2000)، مكتبة لبنان ناشرون (بيروت)، ط1، ص02.

[14] جلال الدين السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، (1992)، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط1، ج06، ص298.

[15] منصور الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق إبراهيم الأبياري، (1967)، دار الكاتب العرب (القاهرة)، ج15، ص682-683.

[16] ينظر: عادل إبراهيم عبد الله أبو شعر: المصطَلحات الصّوتيّة في التّراث اللّغويّ عند العرب، (2015)، مركز تفسير للدراسات القرآنية (الرياض)، ط1، ج02، ص1009-1013.

[17] ينظر: صالح حيدر الجميلي: الهمزة وأخواتها بين القرّاء واللغويّين، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد، السنة الثالثة عشر، العدد50، جويلية 2005، ص105.

[18] محمد الصبان: حاشية الصبان على شرح الأشموني، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، (دت)، المكتبة التوقيفية (القاهرة)، ج04، ص401.

[19] ينظر: عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، (دت)، مكتبة الخانجي (القاهرة)، ص17.

[20] أبو الأصبغ السّماني ابن الطحان: كتاب تحصيل الهمزتين، تحقيق محمد يعقوب تركستان، (1991)، دون ناشر، ص29-31.

[21] عمرو بن عثمان سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، (دت)، مكتبة الخانجي (القاهرة)، ج04، ص433.

[22] أبو بكر ابن دريد: جمهرة اللغة، ج01، ص45.

[23] ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسان الطيان ويحي مير علم، (1983)، مطبوعات مجمع اللغة العربية (دمشق)، ص10.

[24] ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، تحقيق إميل بديع يعقوب، (2001)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، ج5، ص515.

[25] محمد مبارك: فقه اللغة وخصائص العربية، (دت)، دار الفكر (دمشق)، ص10.

[26] الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، مادة (همز).

[27] ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، ج05، ص515.
[28] كمال بشر: علم اللغة العام، (1975)، دار المعارف (القاهرة)، ص113.
[29] سيبويه: الكتاب، ج04، ص433-434.
[30] جار الله الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، (دت)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ج10، ص134.
[31] رضي الدين الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد، (1982)، دار الكتب العلمية، (بيروت)، ط1، ج03، ص31.
[32] إبراهيم المارغيني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع،(دت)، دار الفكر (بيروت)، ص52.
[33] إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، (دت)، طبعة نهضة مصر (القاهرة)، ص77.
[34] المرجع نفسه، ص17
[35] أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، (1997)، عالم الكتب (القاهرة)، ص274.
[36] عمرو بن عثمان سيبويه: الكتاب، ج04، ص434.
[37] مي فاضل الجبوري: القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث، (2000)، دار الشؤؤون الثقافية (بغداد)، ط1، ص20.
[38] ينظر: عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص24.
[39] ينظر: مختار الغوث: لغة قريش، لغة قريش، (1997)، دار المعارج الدولية للنشر (الرياض)، ط1، ص38.
[40] ينظر: عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة، (1968)، مطبعة الكيلاني (القاهرة)، ط2، ص183.
[41] ينظر: مي فاضل الجبوري: القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث، ص21.
[42] إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص77.
[43] ينظر: عبد الصبور شاهين: أثر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو العربي، (1987)، مكتبة الخانجي(القاهرة)، ط1، ص167.
[44] عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة، ص183.
[45] ينظر عبد الغفار حامد هلال: عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جنّي، (2006)، دار الفكر العربي (القاهرة)، ط1، ج02، ص599.
[46] كمال بشر: علم الأصوات، (2000)، دار غريب (القاهرة)، ط1، ص288.
[47] محمد صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، (1960)، دار الملايين (بيروت)، ط16، ص281.
[48] سلمان بن سالم السحيمي: إبدال الحروف في اللهجات العربية، (1995)، مكتبة الغرباء الأثرية (المدينة المنورة)، ط1، ص98.
[49] أحمد مختار عمر: دراسة الصوت العربي، ص346.
[50] عبد الغفار حامد هلال: عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جنّي، ج02، ص599.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو الأصبغ السّماني ابن الطحان: كتاب تحصيل الهمزتين، تحقيق محمد يعقوب تركستان، (1991)، دون ناشر.

2. إبراهيم المارغيني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع،(دت)، دار الفكر (بيروت).
3. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، (دت)، طبعة نهضة مصر (القاهرة).
4. ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسان الطيان ويحي مير علم، (1983)، مجمع اللغة العربية (دمشق).
5. أبو بكر ابن دريد: جمهرة اللغة، ، تعليق إبراهيم شمس الدين، (2005)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1.
6. أحمد ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (1979)، دار الفكر (بيروت).
7. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، (1997)، عالم الكتب (القاهرة).
8. أدما طربية: معجم الهمزة، (2000)، مكتبة لبنان ناشرون (بيروت)، ط1.
9. جار الله الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، (دت)، دار الكتب العلمية (بيروت).
10. جلال الدين السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، (1992)، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط1.
11. جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، (2000)، دار صادر (بيروت).
12. خالد صدوقي: منهج الدراسة المصطلحية وأهميته في تجلية مفاهيم القرآن، الرابط:
https://tafsir.net/article/5215/mnhj-ad-drast-al-mstlhyt-w-ahmyt-h-fy-tjlyt-mfahym-al-qr-aan
13. الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي،(2003)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1.
14. ديوان الأعشى: شرحه وضبط نصوصه فاروق الطباع، (2004)، دار القلم (بيروت)، 2004.
15. ديوان الحطيئة: براوية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب مفيد محمد قميحة، (1993)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1.
16. ديوان العرجي: برواية ابن جني، شرحه وحققه خضر الطائي، ورشيد العبيدي، (1956)، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر (بغداد)، ط1.
17. ديوان أبي نواس: تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، (1953)، دار الكتاب العربي (بيروت).
18. رضي الدين الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد، (1982)، دار الكتب العلمية، (بيروت).
19. سلمان بن سالم السحيمي: إبدال الحروف في اللهجات العربية، (1995)، مكتبة الغرباء الأثرية (المدينة المنورة)، ط1.
20. الشاهد البوشيخي: نظرات في المصطلح والمنهج، (2004)، مطبعة أنفو (فاس-المغرب)، ط3.
21. صالح حيدر الجميلي: الهمزة وأخواتها بين القرّاء واللغويّين، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد، السنة الثالثة عشر، العدد50، جويلية 2005.
22. الطيب رحماني: الدراسة المصطلحية لدى الشاهد البوشيخي: المفهوم والمنهج، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، المجلد04، العدد02، ديسمبر 2013.
23. عادل إبراهيم عبد الله أبو شعر: المصطلحات الصّوتيّة في التّراث اللّغويّ عند العرب، (2015)، مركز تفسير للدراسات القرآنية (الرياض)، ط1.
24. عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة، (1968)، مطبعة الكيلاني (القاهرة)، ط2.
25. عبد الصبور شاهين: أثر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو العربي، (1987)، مكتبة الخانجي(القاهرة)، ط1.

26. عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، (دت)، مكتبة الخانجي (القاهرة).
27. عبد الغفار حامد هلال: عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جنّي، (2006)، دار الفكر العربي (القاهرة)، ط1.
28. عمرو بن عثمان سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي (القاهرة).
29. كمال بشر: علم الأصوات، (2000)، دار غريب (القاهرة)، ط1.
30. كمال بشر: علم اللغة العام، (1975)، دار المعارف (القاهرة)،
31. مجد الدين الفيروز أبادي: القاموس المحيط، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرغيلي، (1997)، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط1.
32. محمد الرازي: مختار الصحاح، تحقيق يحي خالد توفيق، (1998)، مكتبة الآداب (القاهرة)، ط1.
33. محمد الصبان: حاشية الصبان على شرح الأشموني، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، (دت)، المكتبة التوقيفية (القاهرة).
34. محمد صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، (1960)، دار الملايين (بيروت)، ط16.
35. محمد مبارك: فقه اللغة وخصائص العربية، (دت)، دار الفكر (دمشق).
36. مختار الغوث: لغة قريش، لغة قريش، (1997)، دار المعارج الدولية للنشر (الرياض)، ط1.
37. مرتضى الزّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري (1994)، دار الفكر (بيروت).
38. منصور الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق إبراهيم الأبياري، (1967)، دار الكاتب العرب (القاهرة).
39. الموسوعة الشعرية: الرابط: https://poetry.dctabudhabi.ae/#/
40. مي فاضل الجبوري: القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث، (2000)، دار الشؤؤون الثقافية (بغداد)، ط1.